تعاليم سقراط

في الدين

اني سقراط الآن يذاكر تلاميذهُ في الدين قبيل مفارقته الحياة وكأني به قد اراد ان يأتي ببرهان اخير على شدة ورعه ورسوخ عقيدته . وقد حفظ لنا كسينوفانس حديثين لهُ في هذا الموضوع احدهما مع تليذهِ ارسطوديمُس والاخر مع تليذهِ اوثيديمُس . قال مخاطبًا اولهما : هل بين الورى من تعجب بهِ من اجل ذكائهِ ؟ . فاجاب ارسطوديمُس : نعم اني اعجب بهوميروس في الشعر القصصي و بيلاثيبيدس في الشعر الحماسي و بسوفكلس في التراجيديا (الروايات المحزنة) و بوليغنيتوس في النقش و بزيوكسيس في التصوير

سقراط — أليس الذي صنع تماثيل حيةً وذكية ومتحركة ابرع من غيرهِ واعجب ؟

التليذ — بلى بشرط الا يكون عملهُ هذا قد حدث اتفاقًا

سقراط — ولكن الاشياء التي تدل دلالة صريحة على الغرض الذي صُنعت من اجلهِ هل ينبغي ان تنسب الى الصدفة او الى القصد ؟

التليذ — الى القصد

سقراط — اذًا فالذي صنع البشر منذ البدء ألم يُعطهم اعضاء الحواس من اجل منفعتهم ؟ ألم تُصنع العينان للنظر والاذنان للسمع ؟ وما الفائدة من الروائح الذكية اذا كان الانسان بلا منخرين ؟ ان الاجفان والاهداب انما وُجدت لحماية العينين . والاسنان صُنعت صالحة لمضغ الطعام ووُضعت العينان والمنخران يقرب للفم كرّاتي الملاحظة الاطعمة . ثم ان عاطفة الحنو التي تحرّكها فينا الطبيعة نحو نسلنا وميل الامّهات الى ارضاع اطفالهنّ وحبّ الحياة الفطري في الانسان والخوف الاختياري من الموت أليس كل ذلك شبيهًا بعناية واحد شاء ان يوجد كائنات حية ؟

ثم وجّه كلامهُ الى تليذهِ الاخر اوثيديمُس فقال : نحن في حاجة الى الراحة وقد انعم الآلهة علينا بالليل كي نستريح من عناء الاعمال . نحن في حاجة الى الغذاء والآلهة تنبتهُ لنا من الارض . وهي التي رتّبت لنا الفصول وجعلتها صالحة لانبات كل ما نحتاج اليهِ من ما كل ومشرب وملبس . فان الماء يشترك مع الارض والفصول فيخرج لنا النباتات ويحييها وينقع غلتنا و يمتزج باضمتنا فيزيدها غذاء ولذةً واذا قسنا مقدارهُ بنسبة احتياجنا الشديد اليهِ وجدناهُ اكثر منهُ بكثير

فاجابهُ التلميذ — ولكن الا ترى سائر الحيوانات تشاركنا في هذه النعم ؟

سقراط — ذلك لانها تُولد وتنمو لمنفعة البشر ولهذا كان اقواها واضخمها خاضعاً للانسان الضعيف العاجز

ثم استأنف كلامهُ مع اريستوديمس فقال : انت تظن ان فيك بعض الذكاء وتتوهم ان لا ذكاء في ما سواك من المخلوقات مع عملك بان جسدك لا يحوي سوى جزء صغير من هذه الارض وهذا الماء ومن كلٍّ من هذه العناصر التي يتألف منها العالم فكيف لتوهم اذاً انك قد استأثرت وحدك بكامل الذكاء حتى جعلت كل هذه الاشياء التي لا حد لها في العظمة والترتيب والعدد خلواً منها ؟

التلميذ — ولكني لا ارى ارباب هذه المسكونة كما ارى ارباب الاشياء التي فيها

سقراط — ولكنك لا ترى ايضاً فعملك المتسلط على جسمك ومن ثم وجب ان تزعم انك لا تأتي امراً منوياً بل كل ما تأتيه انما هو عرض واتفاق

التلميذ — انا لا احتقر الالوهية ولكني ارى عظمتها ارفع من ان تحتاج الى الناس يقيمون لها شعائر الدين

سقراط — كلما زادت القدرة عظمةً ورفعةً وجب ان يزيد اجلالك لها

التلميذ — لو دار في خلدي ان الآلهة تعنى بشؤون البشر لما اغضيت عنها

سقراط — ولِمَ لم يخطر هذا الامر ببالك ؟ الا فاعلم ان الانسان وحدهُ هو الذي خصتهُ الآلهة دون سائر الحيوانات بانتصاب القامة ليكون اقدر منها على النظر الى بعيد والى ما فوق رأسهِ وعلى اجتناب الاخطار . وخصتهُ يداً يتوسل بها الى اتمام من شأنها ان تجعل حالتهُ اصلح من حال الحيوانات ولساناً يعبّر بهِ عن ارادته . وفضلاً عن ذلك فقد شاءت العزّة الالهية ان تعنى بامر النفس البشرية فكانت في وحدها الجديرة بمعرفتها وعبادتها . ثم هل من نفس اكثر استعداداً للتبصر والتذكر والتعلم من نفس الانسان ؟ ان الآلهة قد خصّت البشر بحواسَّ صالحة لكل نوع من الاشياء الخصوصية واوجدت فيهم من العقل والتمييز ما يجعلهم ينتفعون بكل شيء ويتمتعون بالملذ ويجتنبون القبيح

وسأله تلميذهُ ارسطوديمس عما يجب عملهُ نحو الآلهة على آلائها فاجابهُ قائلاً : تشجع يا صاحِ واعلم ان اله دلفس (١) لما استشير في كيفية حمد الآلهة اجاب بهذه العبارة « راعوا

(١) هنا الاله هو اپلون اله النور . ودلفس احدى مدن اغريقيا الشهيرة القائمة على سفح جبل فرنصس حيث كان الاپلون هيكل يصدر فيهِ فتاويهِ

شرائع بلادكم فانها تقضي في كل نصوصها بتقدمة القرابين جهد الطاقة »

وكان سقراط لا يعتد بالحياة لاعتقاده انها محفوفة بعين الهية عادلة . وقال كسينوفانس انهُ كثيراً ما كان يسمع في عالم التأمل فيستتر فيهِ طويلاً ثم يستحوذ عليهِ الذهول . وكان يعتقد انهُ يسمع في اثناء ذهولهِ صوتاً الهيًّا آتياً من السماء كما كان يعتقد بخلود النفس وتمتعها بالسعادة الابدية بعد انفصالها عن الجسد . واليك دليلاً على ذلك ما فاه بهِ قورش[1] عند الاحتضار وهو ما استفادهُ من تعليم سقراط قال مخاطباً اولادهُ : « باسم آلهة الوطن فليكرم بعضكم بعضاً اذا كنتم تبغون ارضائي فاني اخالكم غير مقتنعين بصيرورتي الى لا شيء بعد مفارقتي هذه الحياة . انتم لا ترون نفسي الآن ولكنكم سوف تعترفون بوجودها في مستقبل الزمان بمجرد نظركم الى اعمالها . ألا تعلمون مقدار الرعب الذي تلقيهِ في قلوب القتلة انفس الذين ذهبوا ضحية الجريمة والاثم وكيف ان تلك النفوس البريئة تتطلع الى اولئك الكفرة تتذكرهم بآثامهم وسيئاتهم ؟ ثم هل كان احد ليكرم الموتى لولا اعتقادهُ بان نفوسهم لا تزال متحلية ببعض القوى ؟ اما انا يا ابنائي فلم اصدق قط ان هذه النفس التي تحيا ما دامت مقيمة في جسد بالي تنقطع عن الحياة عند انفصالها عنهُ بل ارى بعكس ذلك ان هذه النفس المقيمة في هذا الجسد البالي انما تحفظهُ حيًّا ما دامت مقيمة فيهِ . ثم اني لم اقتنع قط بان النفس التي تعي تفقد وعيها بمجرد انفصالها عن الجسد الذي لا يعي بل ان المرجح تصديقهُ ان النفس عند ما تخرج من وشاحها البالي نقية طاهرة تزداد ذكاء وادراكاً . انا ارى العناصر التي يتكون منها الانسان قد ذهبت عند انحلالهِ وانضمت الى سائر العناصر المشابهة لها الا النفس فانها لا تدرك سواء كانت مقيمة في الجسد او منفصلة عنهُ . وقد لاحظتم يا ابنائي ان لا شيء اشبه بالموت من الرقاد وان النفس في اثنائهِ تبلغ اشدها تقرباً من الالوهية وقد تتوصل الى اكتشاف شيء من المستقبل لانها انما تبلغ منتهى حريتها في هذه الحالة »

وكلام سقراط هذا عن الالوهية لا يقصد بهِ الآلهة الاعتيادية التي كان القدماء يقولون بها بل الاله غير المنظور خالق الكون وجميع ما في الكون كما يستدل على ذلك من معنى كلامهِ . نعم قد قصد بتعليمهِ الديني هذا الهاً متعالياً خالقاً لجسم الانسان ونفسهِ ومديراً للكون الخارجي لعجائب المخلوقات وحافظاً لهُ جدتهُ ونضارتهُ بحيث جعلهُ خاضعاً لارادتهِ ومسخراً

---

(١) هو مؤسس مملكة فارس استطاع استباحس ملك مديا واخضع كريسس (قارون) ملك لديا واستولى على بابل ثم اصبح سيداً على جميع آسيا الغربية . وكان ملكاً شجاعاً وشديد الاحترام لاديان الامم المغلوبة . عاش وتوفي في القرن السادس قبل الميلاد

لمشيئته . قصد به الهاً فائق العزة والجلال تتجلى عظمتهُ غير المتناهية في اعماله الباهرة وذاتهُ الربانية منتشرة في عالم الخفاء لا يدركها الحس ولا تقع عليها عين انسان اما اعتراض البعض على كون سقراط قد اوصى عند مماته بتضحية ديك لاسقليبيوس[1] واتخاذهُ ذلك دليلاً على عدم اعتقادهِ بالعزة الالهية فامر لا يركن اليهِ لا سيما وان كسينوفانس لم يذكر شيئاً بهذا المعنى في معرض كلامهِ عن سقراط . واما ما اشار اليهِ افلاطون في كلامهِ عنهُ فلم يكن الاَّ على سبيل الرمز فقط

خلاصة ما تقدم

ان تعاليم سقراط التي مرَّت بك تنحصر في الحث على القناعة والشجاعة والعدل والورع فهو ينبه الى ان الشرائع المكتوبة مستمدة من الشرائع الطبيعية او الالهية . ويشير على القوم نصائحهُ الدرية بشأن الواجبات العائلية . ويساوي الزوجة بالزوج في الشؤون الحيوية والاجتماعية . ويشترط على المتطلعين الى المناصب ان يكونوا عالمين بامور الحكومة ومصالح الرعية . او بعبارة اخرى هو ينهى عن اختيار رجال الحكم ممن لم تتوفر فيهم هذه الشروط الضرورية . ويحث الموالي وارباب البيوت على استمالة خدامهم واكتساب محبتهم ومعاملتهم كاحرار آمنين واكرامهم كاصدقاء صادقين . ويضرب لكلٍّ من تعاليمهِ مثالاً ويدعم الحجة بالبرهان . فتراهُ في تعاليمهِ قنوعاً شجاعاً عادلاً محقاً . يسامح اعداءهُ وحسادهُ ويكاد يحبهم ويحسن اليهم . هو فوق ذلك يعتقد بالعزة الالهية ويقول بخلود النفس فحبيب اذاً وهذه حالهُ وهذه صفاتهُ ان نرى الشعب الاثيني قد حكم عليهِ ذلك الحكم الجائر بدعوى انهُ كان يقول بآلهة جديدة غير التي كانت معروفة في زمانهِ ويفسد الشبيبة بتحريضها على انتهاك حرمة الشرائع . قد كذبوا عليهِ وشنعوا فانهُ لم يقل قط بآلهة جديدة بل كان يعتقد بوجود آلهٍ خالقٍ للكون وجميع ما فيهِ ولهذا اتهمهُ الاثينيون بالكفر والمروق وافساد الاخلاق . ولا يدرى فان الشعب الاثيني كان يتغاضى عن الذين يسبون الآلهة وينسبون اليها اموراً

---

(١) هو ابن اسقلون ابن افلون اله الشر . جاء في اساطير الاولين ان هذا الاله كان يشفي المرضى ويحيي الموتى فحنق عليهِ زفس كبير الآلهة وصعقهُ اجابةً لطلب آرس اله الظلمات الذي كان يخشى على مملكتهِ من انقلابها اذا عمر ابن كان الديك وهو رمز اليقظة والتعبد وهو رمز الحكمة مكرسين لهذا الاله . هذا ويعبر (باستيير) عن انصيب الحاذق و (جليد اسقليبيوس) عن الطبيب